من البرج العاجي

فجر بالاماس

فوزي كريم

في التنقيب عن الكتب عادة ما يستهدف المرء عنواناً في حقل بعينه. في الموسيقى ما من حقل. التنقيب يتم في بستان المفاجآت. كالوميريس Kalomiris (1883 -1962) يوناني وقعت عليه بين إصدارات Naxos الجديدة لهذا الشهر. بدأت مع Sym-phonic Triptych: Crete في ثلاث حركات. العمل رثائي واضح الملامح، ولكن بطولي أيضاً. في ١٩٤٣، فترة الاحتلال النازي لليونان وضع كالوميريس هذا العمل على أثر وفاة الرمز اليوناني الوطني Eleftherios Venizelos، ولذا جعل عمله "في ذكرى بطل". ولكن الموسيقي كان كثير التعلق أيضاً بصوت شاعر لا يقل وطنية وتأثيراً هو بالاماس Costis Palamas (1859-1934). ولقد حكم القدر أن يكون رحيل بالاماس في العام ذاته. كالوميريس لم يضع عمله السيمفوني الثالث في استعادة ذكراه إلا بعد أكثر من عشرة سنوات (١٩٥٥). مع أن رائحة الشاعر الكبير تفشت عميقة في السيمفونيات الأولى والثانية أيضاً. في الثالثة (واسمها الرسمي "السيمفونية البالامية")، وبعد الضربة الموسيقية المُنبِهة في مفتتح الحركة الأولى (معتدلة بحماس) يطلع علينا صوت منشد عميق الهدوء لمقطع من قصيدة بالاماس:

أبي كان إنساناً زائلاً،
وجنية تلك التي أنجبتني.
.....
وها أنا أطوف، غريباً
في طريق المتاهة.

في الحركة الثانية(راقصة وبرائحة فولكلورية) لا يهدأ صوت الشاعر:

حين جاءوا و أبعدوني،
حين جاءوا وقالوا لي:
"أيها الغجري تنح مع خطواتك"،
وحين أخذت طريقي وحيداً،
طريق العزلة،
كم أحسست الحزن عميقاً في داخلي،
حزن ثقيل وباك....

في الحركة الثالثة (بطيئة، رائقة وشجية، تحت عنوان: حبّ) الصوت ذاته:

آه، أيتها العرافة، يا من تُخاطبين النجوم
في الليل، بلغة آمرة،

(..)
أتحدث وتُصغين،
وباتجاهي استدرت،
فوا أسفاه، وا أسفاه،
كم كان خاطفاً عناقك،
بالرغم من قُبلاتك!

(..)
على النهدين الرجراجين المُنْتصرين
لم أجد غير خيانة امرأة
واستعباد جسد!

(..)
كم أنت قريبة وبعيدة في آن،
يا من رفعت صوتك الآمر ليلاً،
باتجاه النجوم،
واتجاه الطبيعة مجتمعة،
وحين ضممتني في عناقك الحار،
أيتها المرأة، كم كنت كالأخريات
ماكرة وذليلة.
فمن تكونين إذن؟

في الحركة الرابعة الأخيرة:

الى جوار بوابة رومانوس،
ثمة مرج ممتد،
يانعاً ومزهرا.
وحول كل حدائق الربيع
ثمة أكاليل عطرة،
وحين تقارب أيام الربيع نهايتها
تظل القلاع الضخمة هناك
بأعمدتها الجلية معشبة،
.....
.....
إنهم يقبلون ، الغجر، ...الغجر!

الموسيقي كالوميريس يقبل، ساعة الإصغاء، مع الشاعر بالاماس إلي، داخل جدران أربع. نتطلع كالمأخوذين الى غبار خيول الغجر وصرخاتهم. ما أوسع أفق الموسيقي والشاعر وأضيق حركتهما؟!
كان بالاماس قد وضع أنضج وأشهر قصائده " أغنيات الغجر الإثنتا عشرة"، وهو عند أكثر مراحله تأثيراً في الشعر اليوناني، مرحلة انتصار الموجة المجددة "مدرسة أثينا الجديدة" تحت ريادته، والتي اعتمدت أدباً ولغة محكية، في مواجهة التيار الأدبي اللغوي الكلاسيكي. القصيدة غنائية ولكن مشبعة بالروح الفلسفي. بطلها غجري موسيقي يجسد الحرية والفن معاً. تتوحد فيه عناصر اليوناني الوطني المحلي بالهللينى العالمي التوجه. تيار بالاماس ومدرسته جاهد في ارتياد قدرات اللغة المحكية على إغناء العبارة والوزن الشعريين، وعلى إضفاء المسحة الرمزية للشعر الحر، الفتي في يونان القرن العشرين. كان الشاعر كافافي الاسكندراني بالولادة (١٨٦٣-١٩٣٣) مجايلاً لبالاماس، ولكنه في منأى عن تأثيراته وتأثيرات حركة أثينا الجديدة. كان يرصد التراجيديا الإنسانية عبر تجربته الشخصية بالغة الحسية. ولأني أعرف كافافي جيداً، وأجهل بالاماس جيداً، صرت أسعى الى التعرف على الأخير تحت رشاد كالوميريس الطيب.
هذا الأخير قال في سنواته الأخيرة: "يعود الفضل في جودة وصفاء إنتاجي الموسيقي، إذا ما توفرا، الى الشعر البالامي، والفكرة البالامية. اليوم وفي سنوات انحداري باتجاه الرحلة القصوى، كم أرغب أن أغني ثانية تحت ظل قيثارته السماوية، وأن أقدم سيمفونيتي الثالثة "البالامية" كمذبح كنيسة، ونصب تذكاري لولائي للفن اليوناني الخالد وللشاعر الذي صار له رمزا."
هل أملك أن أجاريه؟!

كاظم السماوي رمز لابد من تكريمه

زهير كاظم عبود

في تاريخ العراق الحديث ثمة أسماء أعطت كل ما تملك للعراق ، ولقضية الشعب العراقي وخلاصه من سلطات الطغيان والدكتاتوريات ، ونازلت تلك السلطات ولم تساوم ، وثمة أسماء نقشت حروفها فوق صفحات التاريخ العراقي البهي بأحرف مضيئة تضيء ظلام دروب العراق ، وفي تاريخ العراق أسماء ساهمت بنضالها ضمن الحركة السياسية الوطنية بصفحات من النضال والفخر والثبات الوطني ، وما يشعر تلك الأسماء زهوا أنها لم تكن تسعى لمنصب أو مركز أو مغنم، وما يزيد تلك الأسماء أحتراما واجلالا أنها لم تكن تنتظر عطاء أو تكريماً. غير أن بعضاً من هذه الأسماء أعطى ما لم يعطه الرجال أمثاله، فقد جاد بعض بالروح ، وجاد بعض بكل أو بعض من أيام عمره ، وجاد بعض بأولاده وفلذات كبده ، واعطى بعض من مستقبله ومستقبل أهله . كاظم السماوي من هذه الأسماء التي طرز حروفها التاريخ العراقي الحديث ، ورمزا عراقيا يستحق الفخر والأستذكار.

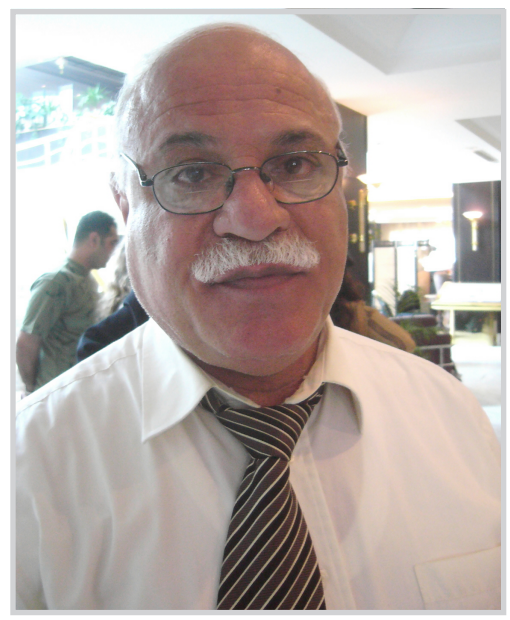
زهير كاظم عبود

كاظم السماوي الشاعر والمناضل والأنسان .
وكاظم السماوي الصحفي العراقي والوطني وصاحب الكلمة الصادقة والمعطاء .
وكاظم السماوي الذي يقول عن العراق في قصيدة (بلادي(:

بلادي ناي ، وفجر أغر
وسحر تثائب في الشاطئين
تنوس النخيل باعذاقها
ظلال تراقص في الرافدين
ومجداف سار يشق الدجى
وينفض عن موجه نجمتين
واصداء حاد ، طروب صبا
هياما تأجج في المقلتين
ولكنها ويحها شحوب يهوم في الوجنتين
وكاظم السماوي الذي نذر روحه للعراق ، متحملا مطاردة سلطات النظام الملكي وسجونها ، ومصرا على الالتحام بالجماهير ، والنضال في سبيل تحقيق مستقبل العراق الديمقراطي المنشود ، وكاظم السماوي ذلك الطود الذي نازل البعثيين وفضحهم وقاومهم فنكلوا به وبولديه، وكاظم السماوي الذي بذل الغالي والنفيس من اجل تحقيق الحلم العراقي في إن يكون العراق بلدا ديمقراطيا يوفر الخبز والكرامة للفقراء .
وكاظم السماوي الذي اعطى فلذات كبده للعراق ولم يندم .
وكاظم السماوي الذي عرفه جيلنا من خلال شعره ونضاله منذ خمسينيات القرن الماضي واقترن بعمله مديرا عاما للاذاعة العراقية ، ورئيسا لتحرير جريدة الانسانية ابان ثورة الرابع عشر من تموز المجيدة ، تلك الجريدة التي شكلت صوتا للحقيقة وللضمير العراقي ، وساحة وواحة لكل الشرفاء من أصحاب الكلمة الناصعة والنقية ، وأذ يتذكر هذا الجيل القصائد الوطنية التي حفظناها لهذا الشاعر الكبير ، فقد كانت قصائده يترنم بها الطلبة والمناضلون على حد سواء ، ومنها قصيدة (قسم) التي نظمها عام ١٩٥١ والتي يقول فيها:
أنا مشعل السارين في الليل الطويل ، انا الصدى
للثأر ، نقسم ان نرود له القصي الابعدا
للفجر ، للحرية الحمراء ، تعتنق الغدا
مهما دجى الخطب الملم ، وما تجهم وادلهم
فانا هنا، انا عبر هذا الليل عاصفة ودم
انا لا المشانق ، لاالسجون ، ولا القيود، ولا العدم
تلوي باصراري، ولن تزري بنقمتي النقم.....
ويقول عام ١٩٩٢ في احدى قصائده:

الشعر ... تعالى الشعر سناً أخضر
مطراً ، لهباً ، برقا أحمر
مجد الامجاد ، شموخ الكبر
أكبر ... من حكام العصر
وكاظم السماوي الذي اكلت الغربة ما تبقى له من الروح لم يشأ إن يطفئ لهيب العراق من لياليه ، فينشد قصيدة النسر يخاطب فيها شهيد العراق حسن سريع ١٩٦٣ فيقول:

لاوقت ياحسن السريع
لاوقت ... فاحملنا اليك
في لحظة تسع الزمان
هنيهة تسع النشيد
وتغسل الاشجارَ والايام والجرح القديم
يافارس العشق الربيعي القصير ...

كاظم السماوي الذي هزأ بالصبر فبقيت قامته شامخة وصابرة كنخيل السماوة ، بالرغم من تقافز العديد من الأسماء التي تأخذ ولاتعطي على سلطة العراق ، بقي صابرا يراقب ما صار اليه العراق تتحجر الدموع عند مقلتيه كما تحجرت عند وداع فلذتي كبده رياض ونصير ، ساهرا يراقب حركة التاريخ ومأأصاب العراق الذي اعطاه كل ماعنده من العمر فيقول :

حجرٌ على حجرٍ .. حجرْ
حجرٌ لأحزابٍ حجرْ
لمحزبينَ من الحجرْ
ومعصبينَ على العمى
حجرٌ ... حجرْ
صحفٌ حجرْ
فكرٌ حجرْ
حلمٌ حجرْ

وحين يطلق عليه لقب (شيخ المنفيين) ، يتذكر معنا أن الوطن نفسه منفى اذا كان أهله غرباء فيه ، وإذا لم يوفر الخبز والكرامة لجموع الفقراء ، لكنه لم يقطع الأمل ومازال يحلم بالعدل والخبز للجياع والكرامة للفقراء وشمس تدخل الأكواخ دون سيطرات ومفارز ، وسعف النخيل يجيء بمتعة الفي يبعد هجير الإرهاب والفتنة الطائفية الغافية .
وأذ يتم تكريم الشاعر من المنفيين حيث يحل في قلوبهم ويمضي معهم في العيون ، وأذ يتم تكريم كاظم السماوي في الغربة بتواضع من قبل ابنائه العراقيين في السويد حيث تناخت الضمائر العراقية الحية في مدينة يتيبوري ، نجد إن اسمه لم يزل عاليا وشامخا وجديرا بأن تلتفت قيادة العراق الجديد ، وان تفتخر بأسمه وتقطع علينا كل الشكوك من أنها لاتنسى من اعطوا للعراق ، وليس من الأنصاف إن يبقى كاظم السماوي مركونا في غربته كأي منفي بعد كل هذا العطاء .
وهاهو كاظم السماوي يناجي العراق فيقول :

في كل يوم نقتل الطفل الوليد
ونرتدي أكفاننا
العمر؟ شاه العمر والإنسان أغلى يا عراق
وتصحرت أيامنا
وتخلت الأنهار عن شطآنها
وتعرت الأشجار وأربدّ السنا
وتخلت الأطيار عن أعشاشها
وتخوض الحر المقيد في دماه
وبلوت مذ خمسين عاماً يا أنا!
وتخوض الحر المقيد في دماه
جمر المنافي والرياح السافيات
وبكى العراق... على العراق

وكاظم السماوي الذي قدم ولده نصير على قربان مذبح حرية العراق ، ففي بكين –الصين- أغتال القتلة في السفارة العراقية العام ١٩٩٣ ولده (نصير) وكان طالباً في جامعة بكين ودفن في دمشق، وتوفيت والدته متأثرة برحيل ولدها نصير ودفنت في دمشق. عاد ولده (رياض) وكان يدرس في ألمانيا إلى العراق في زيارة للعائلة قبل الحرب العدوانية ضد الشعب الإيراني، واختطف من الشارع مع جمهرة من الشباب وزج في معسكر التاجي، ثم دفع به لساحة الحرب..خلال ثمانية أعوام.. وعاد يحمل داء السرطان من الغازات الكيمياوية خلال المعارك. رحل إلى إيران للمعالجة..ووافته المنية في مدينة ماروان- الإيرانية- في ١٥/١٠/ ٢٠٠٤ ودفن في السليمانية. وكل ما تبقى للشاعر همه وسهاده ومأساته الجارحة ، وكتبت عليه الغربة ليس فقط في حياته ، انما توزعت قبور احبته وفلذات اكباده في مقابر الغرباء .
يقينا إن الضمائر العراقية لم تزل حية وتتذكر كل الأسماء التي اعطت للعراق ، ويقينا إن العراق يفتخر بتلك الأسماء التي كنا نحفظ كلامها وأشعارها ، ونحلم بلقياها ، وهاهو الشاعر الكبير كاظم السماوي بيننا وهي فرصة لااعتقد إن القاسم العراقي المشترك جلال طالباني ولا رئيس الوزراء المالكي ولا رئيس اقليم كردستان يمكن إن يصرفوا انظارهم عن بهاء كاظم السماوي وعطائه ، وكما لايمكن للمؤسسات الثقافية التي تدعم الثقافة العراقية وتعالج محنة المثقف العراقي كمؤسسة المدى الثقافية إن يمر أسم كاظم السماوي عابراً عليها كأي اسم آخر .

كسر الايهام السردي في ليلة الملاك

د. محمد ابو خضير

ثمة محاضن اسطورية تاريخية وثقافية لنص رواية (ليلة الملاك) للقاص (نزار عبد الستار) تنعكس في تدارجات البرنامج السردي، بتبادل كل من الراوي والمروي له ادوارهما في التراسل والاستقبال المتعاكس فالنص يوكل الى (السمارتو) روي مرجعيات ما ضوية آفلة داخل الحدث اليومي القائم، متحولاً الى دور سردي آخر(مروي له) اثر تولي (يونس) كشف معاينة الواقع ورصد فضاءات المدينة (نينوى) وتنوعاتها الطوبغرافية والتاريخية من مواقع ومحال وشوارع وأماكن تسلية.
ان مزدوجة (المروي) في ثنائية تاريخية / متحاينة لها اتساعها الشمولي للسبق المتحفي لشخصية (السمارتو) المستدعية من طيات التاريخ العراقي القديم وتعايشها مع الملك (آشور بانيبال)، اما متسع (المروي) لدى (يونس) فله فضاءه الزمكاني في عدم تخطية الليلة الواحدة في مدينة (نينوى) عبر بؤرة تصورية ذات مقصد تعريفي بالوقائع الحياتية لعقد تسعينات القرن الماضي، طارحة لحياة ذات متجيلية (يونس) في مرحلة الطفولة والتعليم بمسرد وضعي لأبعاده السلوكية داخل شوطه التعليمي عاكساً لجملة الاهتزازات الأخلاقية المترشحة من آثار الحصار.
ويبر النص في طرح دلالات إيديولوجية وسياسية بورود أسماء وأحداث لا تخفى على الذات (المروي) لها المعايشة لعقد التسعينيات وآثار الحروب ومتبقياتها في السلوك الجمعي، فطفولة (يونس) ذات شحة من متطلبات الملبس والمأكل وما يستدعيه عالم الطفولة.

ورغم اعتماد النص على آليات وتقاطعات الحركة والفعل والخرق الزمكاني وما تقترحه بنية (الحلم) لدى (يونس) فثمة محدودية تحملها دلالات (السمارتو) المقيدة بحاضر سياسي وثقافي بالإضافة الى ملامحها الأسطورية والتاريخية.
ان اعتماد النص على ثنائية الأسطورة (السمارتو) والحلم (يونس) كفل تنوعاً وتغريباً للأحداث داخل النسق الدرامي في مساراته الأفقية والشاقولية ان (الأحلام كأساطير والدراما هي وضع الأشياء غير المتشابهة جنبا الى جنب بهدف إظهار تشابهها، إنها وسائل تتلامس بوساطتها الأقطاب المتناظرة) (١)كما يتضح ذلك في دور (السمارتو) البديل لفعل (الحمامة) التي أنقذت البشرية من عواقب الطوفان برفقة واتونابشتم ودخوله في مشهدية حضارية واجتماعية لها اختلافاتها الوجودية وعصر الطوفان لتكون حياته تلك دون فائدة مأمولة في هذا العصر المحتشد بالحروب والثقافة المعيقة.
والمتلقي حيال تصنيف أحداث النص له أداؤه ألاستقبالي يخلق تجسيرا صوريا/ دلاليا بين التاريخ/ والواقع. فالتاريخ يتراسل بسياق معرفي يخص (السمارتو) والحاضر له تشظيه في منظومة ساسبو- سايكولوجية تؤشرها لوحة السرد لدى (يونس).
ان المتوالية السردية وفق ثنائية زمكانية توقف آليات التواتر والتعاقب في طرح الأحداث ذلك ان التبادلية في مراكز الروي تحول دون تقارب مواضع السردية لدى المتلقي داخل الحراك السردي في تبادلياته بين الأسطوري التاريخي/ الواقعي. فالنظم السردي في تداخل بنائي/ تواصلي يتعابر به اللاحق بالسابق دون منطقية سببية معللة، وهو ما تستهل به البداية السردية، فليس ثمة حدثاً انعكاسياً ينتسب الى إحدى شخصيتي الرواية (السمارتو/ يونس) فالأحداث منظومة حكايات/ أسفار/ معلومات/ أخبار وما يؤشره ذلك من انفعالات من سلطة الحكاية المأثورة في متون السرود التقليدية التي حجرتها بنية الرواية الحديثة، القائمة على شعرية/ شتات نوعي/ تجنسي تصطفي ما يؤهلها لبناء شكلها المغرب من الأشكال والأجناس والفنون، اذ يرى (باختين) بان الرواية لها استدراجاتها للأنواع الأخرى في (تركيبها الخاص بإدماجها في سياقها وإعطائها معنى آخر ولهجة أخرى) (٢)وترد في المتن الروائي منظومة دلالية ذات إحالات اختلاقية في حواضنها وطروسها مثل (أسرحدون/ شيخ الشط/ القديس / شوارسكوف/ جاكي شان/ آيس كريم/ حارس محمد/ الحصة التموينية/ السرجخانة/ أف ١٦/ ثيران خرسباد/ الخضر/ C.I.A./فرقد ملكو/ عمو بابا/ UN / US/كسراً للحصار الجائر/ جدارية راكان دبدوب/ يونس ذو النون / ١٩٩١/١/١٧ / محلة حوش الخان/ بوش/ ميراج/ اتونوبشتم/ زاويتا/ (Tip.Top) ان بانزياح المنظومة العلاماتية الى طيات/ بتسميات متعددة، وفرت فسحة تغريبية بين علامة وأخرى لها تأريخها العياني/ التاريخي. ففعل (الطيران) يأتي وفق نسق ثقافي مغرب بين (طيران (السمارتو) آن بعثه من قبل (أتونوبشتم) لمعاينة فضاءات اليابسة، وبين تحليق طائرات (التورنادو/ الميراج/ الجاكور) وهو ما يرجح خلق صورة المفارقة والتغريب فالجمع بين حقيقتين زمنيتين مدعاة الى التساؤل عن معطيات المجاورة التاريخية (السمارتو/ الطائرات) وهو ما أشارت إليه تعريفات (التغريب) لدى (برتولد بريخت) بان (التوصل الى تغريب الحادثة او الشخصية يعني قبل كل شيء وببساطة ان تفقد الحادثة او الشخصية كل ما هو بديهي ومألوف وواضح بالإضافة الى إثارة الدهشة والفضول بسبب الحادثة نفسها)(٣).
فالمنجز(الملحق) لدى (بريخت) أخذ بتلك التاريخية وفتحها على حوادث مشهدية لاحقة (ساسيولوجية/ سياسية/ فكرية/ إقتصادية) وجاء (تغريب) الشخصية بازدواجية (الروي) بتقديم (السمارتو) لنفسه راو تأريخي ومعاصر في آن واحد عند أول ظهوره على شاشة السرد معرفاً ذاته بمسرد له ارتجاعاته في عصر (أتونوبشم) وحادثة (الطوفان) :
((أنا حارس (أتونبشتم) .. عملت في صناعة السفينة، وكنت ملاحه الخاص ... حاربت معه من اجل انقاذ البشرية من الغرق ..)) (٤).
وتتخذ المفارقة الملحمية بعداً ساخراً له امتداداته في مشهد الواقع السياسي واليومي لعقد التسعينيات من عطب وتوقف لأنشطة الحياة الموضوعية والذاتية ومنها صفاء الحدث الروائي (مدينة الألعاب) وما أصابها من تعطيل وحجر واستهلاك لأجهزة الألعاب لتبرز مقارنة بينها وبين الثقافة المنظورة لدى (الآخر) :
يرد (السمارتو) من قاع المروحية :
- اللهم اجعل من عرباتها توابيت لجثثهم وبعد لحظة
- فقدنا لعبة الصحن الطائر
- اللهم كسر صحونهم وافسد طعامهم
- فقدنا لعبة سباق السيارات
- اللهم لا تسرع لهم سيارة واجعل موتهم (أسرع) الرواية/ ص ٣٠-٣١,
ان نص رواية (ليلة الملاك) نص متعدي وفق مقولات التناصيين في حضوره الملحق ونصوص لاحقة (أبونا/ تماثيل/ شموراماث)(٥) في مجموعة (رائحة السينما) لـ (نزار عبد الستار) لإعتمادها مشاهد إسطورية/ تأريخية / واقعية بدلالات الانفتاح الفضائي الحر وأفعال المراودة بين اللواحق والسوابق.
ان نص السردية الحديثة لم يعد (قيمة او حقيقة مطلقة بل أصبح قيمة تبادلية أي أصبح جوهره يتعلق بالتبادلية الثنائية بين الأفراد/ هيدغر)(٦)
ان (ليلة الملاك) نصاً مفتوحاً على آفاق المتخيل. الذاتي/ المحلي/ التاريخي والتراثيات السردية الشفاهية والكتابية وتقنيات الرواية العالمية ذات الرؤية العجائبية.

المصادر
١- جوزيف كامبل، الأساطير والأحلام والدين د.ت. دمشق: دار الكلمة، ٢٠٠١ ص,٤١
٢- باختين، الملحمة والرواية.ت: جمال شحيد، دار الإنماء العربي، ١٩٨٢، ص٢٢
٣- برتولد بريخت، نظرية المسرح الملحمي ت. د . جميل نصيف . بيروت : عالم المعرفة د. ت. ص ,١٢٤
٤- نزار عبد الستار، ليلة الملاك، بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٩ . ص ,٢٢
٥- يراجع نزار عبد الستار، رائحة السينما بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٢ ص٥١/٥/ ٩١,
٦- د. سامي أدهم، العدمية النهيلستية بيروت : دار الأنوار، ٢٠٠٣ . ص,٦٥